تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله تعالى وأثره في حياة المسلم عن ابن القيم

اسم الباحث

أ/ الجيلالي بوزيري

الجيلالي بوزيري

تعظيم الله تعالى وأثره في حياة المسلم

عند الإمام ابن القيّم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن سلك سبيلهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد؛ فقد خلق الله تبارك وتعالىٰ هذا الكون بهذه العظمة والجمال، وأرسل رسله، وأنزل كتبه، من أجل تحقيق عبوديته والقيام بواجب ربوبيته، ولا يتحقق ذلك إلا بتعظيم الله تعالىٰ وإجلاله؛ لأن أساس العبودية ولبها وجوهرها هو التعظيم، وروح كلمة التوحيد وسرها «إفراد الرب -جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالىٰ جده، ولا إله غيره- بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة»(١).

يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف العبادة: «العبادة: فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيما لربه. وقيل: تعظيم الله وامتثال أوامره»(٢).

وتعتبر منزلة التعظيم -من جهة أخرىٰ- من أجل العبادات القلبية وأعظمها أثرا، إذ من شأنها أن تهذب النفس وتحد من رعوناتها، وتحملها علىٰ لزوم الطاعة، والخضوع لله تعالىٰ، والذل والانكسار بين يديه، والتواضع لعباده المؤمنين، وذاك هو طريق صلاح الفرد والجماعة وبناء الحضارة. وإن عدم استشعار عظمة الله تعالىٰ من أكثر الأسباب التي أوصلت الأمة إلىٰ هذه الحالة المتردية في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية؛ لأن خلو القلب من التعظيم يُفقد العبادة روحها، ويذهب أثرها، ويطمس نورها في حياة الناس، فيصبح وجود تلك العبادة كعدمها؛ فتتخلف نتيجة لذلك منفعتها ومصلحتها.

ولما كانت منزلة التعظيم بهذه المكانة والدرجة الرفيعة، فقد حث الله عليها في مفتتح كتابه، وأثنىٰ بها علىٰ الصالحين من عباده فقال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) الداء والدواء، ابن القيم (ص: ٤٥٧).

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص: ٢٣٥).

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم الآية الرابعة، جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد، وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ»[(١)].

إن تعظيم الله تبارك وتعالىٰ حق من حقوقه التي أوجبها علىٰ عباده وتوعد بالنار من نازعه في هذا الوصف، لأن الله تعالىٰ هو الذي يستحق «كمال التعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل. وهذا خالص حقه، فمن أقبح الظلم أن يعطي حقه لغيره، أو يُشرَك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه»[(٢)].

ولأجل تحقيق هذه الغايات وبلوغ هذا المقاصد، فقد اعتنىٰ العلماء قديما وحديثا بهذه المنزلة، علىٰ اختلاف بينهم في طريقة الإشارة وجمال العبارة، والإيجاز والإطناب، والقصد إلىٰ الكلام والتناول علىٰ سبيل اللزوم والاعتراض. ومن هؤلاء العلماء ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي جاء هذا البحث الموسوم بـ **(تعظيم الله تعالىٰ وأثره في حياة المسلم عند الإمام ابن القيم)** ليكشف لنا جهوده في التأصيل لهذه العبادة الجليلة، قصد تحقيق **الأهداف التالية**:

١- الكشف عن منهج أصيل من مناهج العلماء المتخصصين في باب التربية الإيمانية في التأصيل لمفهوم التعظيم، وتحديد مواطنه، والكشف عن تجلياته، وإبراز آثاره.

٢- إبراز إسهامات الإمام ابن القيم في موضوع تعظيم الله تعالىٰ.

٣- محاولة جمع ما تفرق في كتب ابن القيم حول هذا الموضوع في موضع واحد، حتىٰ يسهل الرجوع إليه والاستفادة منه.

٤- محاولة الكشف عن ضوابط التعظيم وحدوده عند ابن القيم، قصد استثمارها في تنزيل الهدايات القرآنية علىٰ واقع الناس.

ولبلوغ هذه الأهداف، سأحاول -بعون الله تعالىٰ- أن أسلك المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي في هذه الدراسة، وذلك من خلال تتبع كلام الإمام ابن القيم حول هذا الموضوع (مستندا في ذلك إلىٰ ما ذكره استقلالا، أو ما وقف عنده مفسرا ومحللا لكلام غيره، أو ناقدا له) من خلال كتبه التي اعتنت بباب السلوك والتربية الإيمانية، وجمعها، والتأليف

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٦).

(٢) الجواب الكافي (ص: ٣٢٠).

بينها، وربطها بإسهامات بعض العلماء في هذا الباب -وكل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق، ويسمح به الزمان المقرر لهذه الدراسة-، وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثاني: مواطن تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثالث: ثمرات التعظيم.

المبحث الرابع: مظاهر تجلي عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ.

خاتمة.

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالى

لما كان تحديد المفاهيم وتصور حقيقتها وتحديد دلالته هو اللبنة الأولىٰ والأساس الذي يجب الاعتناء به في أي بحث، فإنني سأفتتح هذا الموضوع بتحديد مفهوم تعظيم الله تعالىٰ في اللغة والاصطلاح، مراعيا في ذلك الاختصار قدر الإمكان بحسب ما يقتضيه المقام.

أولا: مفهوم التعظيم في اللغة

إن الناظر في المعاجم اللغوية يجد أن لفظ التعظيم يرجع إلىٰ الجدر اللغوي (ع ظ م)، الذي يدل علىٰ معان متعددة بحسب مشتقاته، فيأتي بمعنىٰ: الفخامة، والتبجيل، والكبرياء، والكِبَر، والقوة، وعلو القدر والمنزلة...، وغير ذلك من المعاني التي ترجع إلىٰ هذا الجدر[1].

ثانيا: مفهوم تعظيم الله تعالى في الاصطلاح

لم أجد فيما وقفت عليه من كلام ابن القيم تعريفا محددا لهذا المفهوم، رغم أنه تناول هذا الموضوع بشكل مستقل في منزلتين من كتابه المدارج، وعقد فصلا مستقلا لعلامات تعظيم الأوامر والنواهي في كتابه الوابل الصيب، فضلا عن باقي المواطن التي أشار فيها إلىٰ هذا الموضوع أصالة أو تبعا.

ورغم هذا الأشكال، سأحاول بعون الله تعالىٰ تلمس دلالة هذا المفهوم من خلال الجمع بين المعنىٰ اللغوي، وبعض المواطن التي أشار فيها ابن القيم إلىٰ مفهوم التعظيم، مسترشدا -في سبيل تحقيق ذلك- بكلام غيره من العلماء الذين وقفت لهم علىٰ كلام في بيان ما نحن بصدده.

فأما المتتبع لكلام ابن القيم فيجده قد أشار إلىٰ هذا المفهوم إشارات مختصرة بحسب سياقات مختلفة، منها قوله: «فالإجلال هو التعظيم، وكذلك الهيبة»[2]، وقوله: «والتوقير هو التعظيم الصادر عن الهيبة والإجلال»[3].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (مادة: عظم ٣٥٥)؛ ولسان العرب، ابن منظور (مادة: عظم ٤/ ٣٠٠٤ - ٣٠٠٦).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٦٣٣).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٦٣٤-٦٣٥). وينظر: مدارج السالكين (٣٧٠).

ويقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتعظيم: حال المعظم له، يصيبه عند مشاهدة معاني الجلال والعلاء والعظمة والجلال، فيحل قلبه إكبارا له وإجلالا ومهابة»[١].

ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ عند كلامه عن اسم الله العظيم: «العظيم من العباد والأنبياء والعلماء، الذين إذا عرف العاقل شيئا من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره، وصار مستوفىٰ بالهيبة قلبه، حتىٰ لا يبقىٰ فيه متسع»[٢].

إن المتأمل في هذه الأقوال يلحظ اتفاقها علىٰ أن التعظيم يتضمن معاني التوقير والإجلال والهيبة لله تعالىٰ، وهو حالة تنشأ عن مشاهدة صفات الله تعالىٰ المتضمنة لمعاني الكبرياء والعلو والإجلال.

ومن خلال هذه الأقوال وغيرها وباستحضار ما يدل عليه اسم الله العظيم، يمكن القول في تحديد مفهوم تعظيم الله تعالىٰ: هو **إكبار الله تعالىٰ وهيبته، وتقديسه عما لا يليق به، وإجلال أفعاله، والخضوع لأقواله بامتثال الطلب واجتناب النهي والتصديق بالخبر**.

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، القرطبي (ص: ١٧٨).

(٢) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٠٤).

المبحث الثاني: مواطن تعظيم الله تعالى

يعتبر هذا المبحث هو عمدة هذا الموضوع، وشرط لمن أراد بلوغ أهدافه وجني ثمراته، وهو بمنزلة العمل بالنسبة للإيمان، فكلما قوي التعظيم في قلب العبد ازداد إقباله علىٰ الطاعة والعبودية لله تعالىٰ، وكلما ضعف تعظيم الله في قلبه كلما استهان بأوامر الله تعالىٰ وأقبل علىٰ اقتحام منهياته، والعكس صحيح.

ومواطن التعظيم كثيرة ومتنوعة بتنوع أبواب العبادات وتعدد مجالاتها، وقد أشار الإمام ابن القيم إلىٰ جملة منها في كثير من كتبه التي وقفت عليها، رأيت أن أنظم مجملها في خمسة مواطن، تاركا المجال لما يأتي من الأيام لاستقصاء كل المواطن عنده ومقارنتها بما بحثه غيره من العلماء، قصد استجلاء جوانب الاتفاق والاختلاف بينها.

الموطن الأول: تعظيم الأمر والنهي

إن تعظيم الأوامر والنواهي من أهم المواطن التي يتجلىٰ فيها تعظيم الله تعالىٰ، بل إن تعظيمها هو الميزان الذي علىٰ أساسه يُعرف مقدار تعظيم العبد لمولاه؛ ذلك أن مقتضىٰ الرسالة المحمدية التي علىٰ أساسها سيحاسب الناس، الانقياد لأمر الله تعالىٰ ونهيه، «وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالًا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي»[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قدم الإسلام لا تثبت إلا علىٰ درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالىٰ وأمره ونهيه، فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلىٰ قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليل علىٰ تعظيم الآمر»[(٢)].

ولما كان تعظيم الأوامر والنواهي بهذه المنزلة والدرجة الرفيعة في باب تعظيم الله تعالىٰ وإجلاله، فإن ابن القيم قد اعتنىٰ بهذا الموطن عناية كبيرة، سواء من حيث تعدد المواضع والمؤلفات التي أشار فيها إلىٰ ذلك، أو من حيث التأصيل والتصور التي بني عليه تعظيم الأمر والنهي عنده.

---

(١) الوابل الصيب (ص: ١٠).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١).

وبعد تتبع مجموعة من المواضع التي أشار فيها ابن القيم إلىٰ تعظيم الأمر والنهي رأيت أن أقسم ذلك إلىٰ ثلاثة محاور:

المحور الأول: مراتب تعظيم الأمر

يرىٰ ابن القيم أن تعظيم الأوامر يمر بمراتب متعددة، بعضها آخذ برقاب بعض، ومؤد إليه، وهي كالتالي:

أوَّلًا: التصديق به.

جعل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ التصديق بالأمر أول مراتب تعظيمه، ذلك أن الإيمان بكونه من رب العالمين بواسطة نبيه الكريم هو اللبنة الأولىٰ التي علىٰ أساسها يبنىٰ ما بعدها، إذ لا قيمة لعمل أصلا بدون إيمان، مع ما ينضاف إلىٰ ذلك من كون الإيمان بالشيء يقوي عزيمة الإنسان ويحرك قلبه إلىٰ الامتثال.

ثانيًا: العزم الجازم علىٰ امتثاله.

ثالثًا: المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع.

رابعًا: بذل الجهد والنصح في الإتيان به علىٰ أكمل الوجوه.

خامسًا: فعله لكونه مأمورا به، بحيث لا يجعل معرفة حكمته شرطا لفعله.

بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن من تعظيم الله تعالىٰ أن يفعل العبد الأمر لكونه أمرا منزلا من عند الملك جل جلاله، بغض النظر عن ظهور حكمته أو عدم ظهورها، ولا «يتوقف الإنسان علىٰ معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته، ممتثلا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أو فقهها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله،فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي علىٰ ما جاءت، لا يعللها بعلل توهنها، وتخدش في وجه حسنها، فضلا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء»[1].

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١ - ١٥٦٢).

المحور الثاني: علامات تعظيم الأوامر والنواهي

١ - علامات تعظيم الأوامر[١]:

الأولىٰ: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش عن أركانها وواجباتها وكمالها.

لقد أمر الله تعالىٰ بأوامر، وجعل لها صفات متضمنة أركانها التي لا تُقبل بدونها، ومندوبات لمن أراد بلوغ درجة الكمال فيها. ولما كان المقصود بتلك العبادة هو الرب جل جلاله، وكان أساس العبادة هو التعظيم؛ كان من تعظيم العبد لله تعالىٰ أن يبحث العبد عن أركانها، ويرعىٰ واجباتها، حتىٰ يؤديها كما أراد الله تعالىٰ وأمر، فإن ذلك من تعظيمه وتعظيم أمره.

وإذا كان هذا من جهة أركانها وواجباتها، فإنه ينبغي أيضا علىٰ السالك منزلة التعظيم أن ينشد تحقيق كمال تلك الأوامر بالحرص علىٰ سننها ومندوباتها؛ فإنه علىٰ قدر رعايته لصفاتها يكون تعظيمه لله تعالىٰ، وعلىٰ قدر تعظيمه لله تعالىٰ يكون إيمانه.

ويعضد ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ قدر صنيعهم في الصلاة**»[٢].

وقال ابن منده رحمه الله: «والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية»[٣].يقول الله تعالىٰ مادحا عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[الأنفال]. ومن إقامتها: «المحافظة علىٰ مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة علىٰ النبي ﷺ»[٤].

الثانية: الحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها.

إن المتأمل في سيرة الرسول الكريم ﷺ الذي كان أشد الناس تعظيما لله تعالىٰ، وصحابته الذين أسر التعظيم قلوبهم واستولىٰ علىٰ جوارحهم، يجدهم أشد الناس حرصا علىٰ إقامة العبادات في وقتها، حيث كانوا ينتظرونها بشوق كبير، مبادرين إليها فور دخول وقتها.

---

(١) ينظر: الوابل الصيب (ص: ١٠).

(٢) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٣٨).

(٣) الإيمان (١/ ٣٠٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٥).

فهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصف ما كان النبي ﷺ يصنعه في بيت أهله فتقول: «**كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج**»(١).

وهؤلاء سلف الأمة كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أخرىٰ أن يُتقَبل منهم(٢).

وهناك أدلة أخرىٰ كثيرة تجلي هذا المشهد الإيماني في باقي الأوامر الإلهية، وتبرز لنا حرص السلف الشديد، واهتمامهم البالغ، وشوقهم الكبير لامتثال أوامر الله تعالىٰ، تعظيما له، وإجلالا لأوامره.

الثالثة: الحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها.

إن استشعار القلوب حقيقة العبودية، وعظمة وجلال المعبود تبارك وتعالىٰ؛ من شأنه أن يقوي عزيمتها علىٰ الامتثال، ويزيد حرصها علىٰ تجويد تلك الأعمال، فهناك راحتها وحقيقة أنسها. فإذا حال بينها وبين محبوبها مانع انكسرت من شدة الحزن، وهول المصاب، وألم الفراق.

فعن معاوية بن قرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**كان حذيفة إذا فاتته الصلاة في مسجد قومه، يعلق نعليه ويتبع المساجد، حتىٰ يصليها في جماعة**»(٣).

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الأسود: إذا فاتته الجماعة ذهب إلىٰ مسجد آخر»(٤).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان حال من خلا قلبه من ذلك الحزن عند فوات صلاة الجماعة: «فإذا فوت العبد عليه هذا الربح خسر قطعا.

وكثير من العلماء يقول: لا صلاة له، وهو بارد القلب، فارغ من هذه المصيبة، غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالىٰ في قلبه.

وكذلك إذا فاته أول وقت الذي هو رضوان الله تعالىٰ، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته علىٰ ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله، رقم: ٥٣٦٣).

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب (ص: ٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الصلاة، الرجل تفوته الصلاة في مسجد قومه، رقم: ٦٠٤٣).

(٤) الجامع الصحيح (كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة).

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالىٰ الذي هو روحها ولبُّها»[١].

٢- علامات تعظيم المناهي.

أولا: الحرص علىٰ التباعد علىٰ مظانها وكل شيء يؤدي إليها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما علامات تعظيم المناهي، فالحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها»[٢].

ولأجل ذلك أمر الشارع الحكيم بالاستئذان عند الزيارة، وأمر بغض البصر عن كل ما لا يحل النظر إليه من النساء والصور ونحو ذلك، ونهىٰ عن مصافحة المرأة الأجنبية أو الخلوة بها، وفرق بين الأولاد في المضاجع، وأمر بستر العورات ...، فالبعد عن هذه المواطن والالتزام بهذه التشريعات ينم عن تعظيم العبد لله جل جلاله، والحرص الشديد علىٰ تعظيم نهيه.

الثانية: أن يترك بعض المباح مخافة الوقوع في المكروه أو الحرام.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات»[٣].

وهذا شأن الأنبياء والصالحين الذين بلغوا أعلىٰ درجات التعظيم للمولىٰ جل جلاله. فقد كان النبي ﷺ يترك الشيء الذي يرغب فيه خوفًا مما يترتب عليه، وهو القائل ﷺ: « **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[٤].

وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «لا يَسْلَم للرَّجل الحلال حتىٰ يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال»[٥].

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٩).

(٢) الوابل الصيب (ص: ١٣).

(٣) الوابل الصيب (ص: ١٣).

(٤) أخرجه أحمد، رقم: ١٧٣٧، ٣/ ٢٥٩؛ وابن ماجه (كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٣٩٧٦)؛ وصححه الألباني في المشكاة (كتاب الآداب، باب حفظ اللسان، رقم: ٤٨٣٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم، حلية الأولياء (٤/ ٨٤).

وقال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مازالت التقوىٰ بالمتقين حتىٰ تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام»(١).

الثالثة: البعد عن الأماكن التي ترتكب فيها المنهيات الشرعية، وتجنب مخالطة أصحابها.

لا شك أن مشاركة من يقتحم المنهيات الشرعية، ومخالطة من ينتهك حدود الله، سواء كان ذلك بالجلوس معهم، أو تقديم بعض أنواع الخدمة لهم حال جرمهم؛ يعطي الشرعية لأعمالهم، ويظهر الرضا بصنيعهم. وكل ذلك مناف لتعظيم الله جل جلاله.

يقول ابن القيم: «ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تعالىٰ وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالىٰ وحرماته»(٢).

وقد نهىٰ الله عن ذلك فقال في كتابه العزيز: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

الرَّابعة: أن يعظم في قلبه انتهاك حرمات الله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عُصي الله تعالىٰ في أرضه، ولم يُطع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك»(٣).

فهذا النبي ﷺ لما أراد أسامة بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يشفع للمرأة المخزومية عنده، غضب ﷺ وتلون وجهه الشريف، وقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**»، ثم قام فخطب، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ٢٠٩).

(٢) الوابل الصيب (ص: ١٣).

(٣) الوابل الصيب (ص: ١٣).

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلىٰ السلطان، رقم: ٦٧٨٨)؛ ومسلم (كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم: ١٦٨٨).

المحور الثالث: ما ينافي تعظيم الأمر والنهي

إن سلوك العبد درج التعظيم والإجلال لله تعالىٰ، يقتضي منه أن يتجنب كل ما ينافي أصل التعظيم أو ينقضه؛ لأن ذلك يضعف سير العبد وعروجه في مدارج منزلة التعظيم والإجلال لله تعالىٰ، ويحول بينه وبين التعرض لنفحاتها، وتحقيق مقاصدها. فكل ما ينافي التعظيم والإجلال لأوامر الله ونواهيه يستحق عليه العبد من العقوبة ما يناسبه.

وأما الأشياء التي تنافي تعظيم الأوامر والنواهي فهي متعددة بتعدد تلك الأوامر والنواهي، أجملها الهروي في ثلاث أشياء، ثم تناولها ابن القيم بالبيان والتفصيل[١]:

الأول: الترخص الذي يجفو به صاحبه عن كمال الامتثال.

الثاني: الغلو الذي يتجاوز به صاحبه حدود الأمر والنهي.

الثالث: حمل الأمر والنهي علىٰ علة توهن الانقياد.

أولا: معارضة الأمر والنهي بغلو أو تفريط

من المعلوم أن أوامر الله تعالىٰ ونواهيه اتسمت بالوسطية والاعتدال، فكانت بذلك بين طرفين، طرف يتسم بالغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي، وآخر يتسم بالترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال، وكلا الطرفين قد خرجا عن الطريق الموصل إلىٰ رضىٰ الله تعالىٰ وتعظيمه، وتعظيم أمره ونهيه، وهو طريق الوسطية والاعتدال.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلىٰ الله عز وجل بسالكه، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين»[٢].

وقد حذرت كثير من النصوص الشرعية منهما، باعتبارهما يوصلان إلىٰ إرضاء الشيطان، لا إلىٰ تعظيم الرب الرحمن جل جلاله؛ لأن الخارج عما أمر الله به أو نهىٰ عنه، مبتدع مردود عليه عمله، وسيكون وبالا عليه يوم القيامة.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (ص: ٧٣١).

(٢) الوابل الصيب (ص: ١٤).

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)]، والمراد بذلك: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري، فليس مني.

وقد أثنىٰ الله علىٰ أمة الوسطية فقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبيَّن النَّبيُّ ﷺ المنهج في ذلك فقال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[(٢)]. فلزوم الطريق الوسط يوصل صاحبه إلىٰ أعلىٰ درجات التعظيم والبر.

وأما الترخص الذي يكون صاحبه جافيا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط فقد ذكر له ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من الصور فقال: «مثال ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلىٰ فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصًا جافيًا...، ومن ذلك أنه أرخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر وتَعذُّر فعل كل صلاة في وقتها؛ لمواصلة السير، وتعذر النزول أو تعسيره عليه. فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة، أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له؛ لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة ... ومن هذا أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة؛ فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتىٰ يصل به الشبع إلىٰ حد التخمة والامتلاء، فيتطلَّب ما يُصرِّفُ به الطعام، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده»[(٣)].

وخلاصة القول، أن لزوم صراط الله الذي ارتضاه لعباده، وأمرهم باتباعه إن أرادوا الفوز برضوانه والنجاة من نيرانه، هو السبيل الوحيد لإجلاله، وتعظيم أوامره ونواهيه.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، رقم: ٥٠٦٣)، ومسلم (كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم: ١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، رقم: ٦٤٦٣).

(٣) الوابل الصيب (ص: ١٤-١٣).

ثانيا: حمل الأمر والنهي على علة توهن الانقياد

لما كانت الأحكام الشرعية مناطة بعلل ومقاصد تجلي حكمها وغاياتها، وكانت هذه العلل هي الأساس الذي تبنىٰ عليه الأحكام؛ فإن العلماء قد اعتنوا عناية كبيرة بوضع المناهج والضوابط التي بجب الالتزام بها عند استخراج علل تلك الأحكام؛ حتىٰ لا يقع الباحث في إبطال الأوامر والنواهي، أو حملها علىٰ علل ضعيفة توهن الانقياد إليها. ولم يكن هذا العمل الجبار الذي تولاه علماء الإسلام مجردا عن الغاية أو لمجرد الترف الفكري، وإنما كانت غايتهم ومقصدهم تعظيم أوامر الله تعالىٰ ونواهيه، وحفظها مما ينقضها أو يبطلها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: (ولا يحملا علىٰ علة توهن الانقياد) يريد: أن لا يتأول في الأمر والنهي علة تعود عليهما بالإبطال، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء، والتعرض للفساد، فإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه... ومن العلل التي توهن الانقياد: أن يعلل الحكم بعلة ضعيفة، لم تكن هي الباعثة عليه في نفس الأمر، فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم، ولهذا كانت طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور ... وكل هذا من ترك التعظيم للأمر والنهي. وقد دخل من هذا الفساد علىٰ كثير من الطائف ما لا يعلمه إلا الله، فما يدري ما أوهنت العلل الفاسدة من الانقياد إلا الله، وكم عطلت لله من أمر، وأباحت من نهي وحرمت من مباح؟! وهي التي اتفقت كلمة السلف علىٰ ذمّها»[1].

الموطن الثاني: تعظيم الحكم

لما ذكر فيما سبق تعظيم حكم الله الشرعي، انتقل إلىٰ تعظيم حكم الله الكوني القدري. فالذي خلق هو الذي أمر، والحق سبحانه يحب أن تعظم أفعاله وأقواله كلها، فهي كلها متصفة بصفة العظمة، والكمال المطلق، والحكمة البالغة؛ فكان من حق الله علىٰ العبد أن يعظمها كلها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما يجب علىٰ العبد أن يرعىٰ حكم الله الديني بالتعظيم، فكذلك يرعىٰ حكمه الكوني به»[2].

---

(١) مدارج السالكين (ص: ٧٣٢-٧٣٣).

(٢) مدارج السالكين (ص: ٧٣٣).

وتعظيم حكم الله الكوني يقوم علىٰ ثلاثة أشياء ذكرها الهروي بقوله: «تعظيم الحكم: ألا يبتغىٰ له عوجا، أو يدافع بعلم، أو يرضىٰ بعوض»[(١)].

أولا: أن يراه حسنا محكما متقنا لا عوج فيه

لقد بيَّن الله تعالىٰ في كتابه أن خلقه بلغ الغاية في الحسن والجمال، والجودة والإتقان، لأنه فعل حكيم خبير، عالم قادر، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]. ويدخل في ذلك كل أفعاله تبارك وتعالىٰ، وأما ما يراه الإنسان غير حسن فهو بحسب نظره والمبادئ التي اعتمدها في حكمه.

يقول السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل حيوان كامل حسن في خلقته، وهذا معنىٰ قول الحكماء الذين مضوا: كل حيوان كامل في نقصانه؛ يعني: أنه لو قوبل بغيره كان ناقصا، وهو في نفسه وأداته كامل»[(٢)].

ويقول الألوسي: «أي: حسن سبحانه كل مخلوق من مخلوقاته، لأنه ما من شيء منها إلا وهو مرتب علىٰ ما اقتضته الحكمة واستدعته المصلحة. فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت في مراتب الحسن كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين] . ونفي التفاوت في خلقه تعالىٰ في قوله سبحانه: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾[المُلك: ٣]»[(٣)].

يقول ابن القيم شارحًا كلام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ألا يبتغىٰ له عوج)، أي: يطلب له عوج، أو يرىٰ فيه عوج، بل يراه كله مستقيما؛ لأنه صادر عن عين الحكمة، فلا عوج فيه. وهذا موضع أشكل علىٰ الناس جدًّا»[(٤)].

ثانيا: ألا يعارض حكم الله الكوني بحكمه الديني أو يدفعه به

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قضاء الله وقدره وحكمه الكوني، لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني بحيث تقع المدافعة بينهما؛ لأن هذا مشيئته الكونية، وهذا إرادته الدينية، وإن كان

---

(١) مدارج السالكين (ص: ٧٣٣).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٢٤٤).

(٣) روح المعاني (٢١/ ١٢٣).

(٤) مدارج السالكين (ص: ٧٣٣).

المرادان قد يتدافعان ويتعارضان، لكن من تعظيم كل منهما أن لا يدافع بالآخر ولا يعارض، فإنهما وصفان للرب تعالىٰ، وأوصافه لا يدافع بعضها ببعض، وإن استعيذ ببعضها من بعض، فالكل منه سبحانه، وهو المعيذ من نفسه بنفسه، كما قال أعلم الخلق به: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»[(١)] فرضاه -وإن أعاذ من سخطه- فإنه لا يبطله ولا يدفعه، وإنما يدفع تعلقه بالمستعيذ، وتعلقه بأعدائه باق غير زائل، فهكذا أمره وقدره سواء»[(٢)].

ثالثا: ألا يرضى بعوض يطلبه بعمله

لا شك أن نعم الله علىٰ العبد كثيرة وافرة، مع عجزه عن حصرها فضلا عن شكرها، وعبادته مهما بلغت من حسن وكمال فإنها تبقىٰ دون ما أنعم الله به عليه. فإذا كان هذا حال العبد، فكيف له أن يطلب عوضا بعمله، أو يرىٰ أن نفسه تستحق مقابلا علىٰ جهده؟

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن تعظيمه: أن لا يرضىٰ العبد بعوض يطلبه بعمله؛ لأن مشاهدة الحكم وتعظيمه يمنعه أن يرىٰ لنفسه ما يعاوض عليه»[(٣)]؛ فهو «يشاهد جريان حكم الله عليه، وعدم تصرفه في نفسه، وأن المتصرف فيه حقا هو مالكه الحق. فهو الذي يقيمه ويقعده، ويقلبه ذات اليمين وذات الشمال، وإنما يطلب العوض من غاب عن الحكم وذهل عنه، وذلك مناف لتعظيمه»[(٤)].

الموطن الثالث: تعظيم الحق سبحانه وتعالى

بعد أن تكلم عن تعظيم الأمر والحكم، انتقل للكلام عن صاحب الخلق والأمر. وهذا الموطن يقوم علىٰ أربع درجات ذكر الهروي منها ثلاث درجات فقال: «تعظيم الحق سبحانه. وهو أن لا يجعل دونه سببا، ولا يرىٰ عليه حقا، أو ينازع له اختيارا»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ٤٨٦).

(٢) مدارج السالكين (ص: ٧٣٤).

(٣) مدارج السالكين (ص: ٧٣٤).

(٤) مدارج السالكين (ص: ٧٣٤).

(٥) مدارج السالكين (ص: ٧٣٤).

الأولىٰ: ألا يجعل دونه سببًا

لقد بيَّن الله في كتابه العزيز أنه لم يجعل بينه وبين عباده وسائط في عبادتهم يقربونهم إليه تعالىٰ، سواء كانوا ملائكة أو رسلا، فضلا عن باقي البشر، وما كان أدناهم من الشجر والحجر حيث قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ فكان من مقتضىٰ تعظيم الله تعالىٰ أن يوحد فلا يشرك به شيئا.

فالله تعالىٰ تبارك وتعالىٰ غني عن الشركاء ولا يحتاج إلىٰ وسطاء، فهو خالق كل شيء ومحيط بكل شيء، وقريب من كل شيء، وعالم بكل شيء؛ «فلا يوصل إلىٰ الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدني إليه غيره، ولا يتوصل إلىٰ رضاه إلا به. فما دل علىٰ الله إلا الله، ولا هدىٰ إليه سواه، ولا أدنىٰ إليه غيره؛ فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا، فالسبب وسببيته وإيصاله كله خلقه وفعله»[(١)].

الثانية: ألا يرىٰ عليه حقًّا

لقد خلق الله تعالىٰ الإنسان وسخر له ما في السماء والأرض، وأسبغ عليه نعما ظاهرة وباطنه، يعجز الإنسان عن عدها فضلا عن تأدية حقها. وتعظيم الله جل جلاله المتصف بذلك يقتضي ألا يرىٰ العبد أن له أو لغيره حقا علىٰ الله تعالىٰ، «بل الحق لله علىٰ خلقه...، وأما حقوق العبيد علىٰ الله تعالىٰ: من إثابته لمطيعهم، وتوبته علىٰ تائبهم، وإجابتهم لسائلهم، فتلك حقوق أحقها الله سبحانه علىٰ نفسه، بحكم وعده وإحسانه، لا أنها حقوق أحقوها هم عليه. فالحق في الحقيقة لله علىٰ عبده، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه بجوده وبره، وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه»[(٢)].

الثالثة: أن يرضىٰ بأمره الديني وقضائه الكوني

إن كون الله حكيما قادرا، ومحيطا بكل شيء، وغنيا عن الكل، ورحمته وسعت كل شيء؛ يقتضي من العبد السالك منزلة التعظيم أن يرضىٰ بما اختاره الله له من أمور دينه ودنياه، فإن ذلك من تعظيم أفعاله وكمال أوصافه.

---

(١) مدارج السالكين (ص: ٧٣٤).

(٢) مدارج السالكين (ص: ٧٣٥).

فهذا أنس رَحِمَهُ اللَّهُ يصف حال النبي ﷺ معه فيقول: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين وخدمته عشر سنين، فما لامني لائم من أهله إلا قال: «دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ»(١).

وهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**ما أبالي علىٰ أي حال أصبحت علىٰ ما أحب أو علىٰ ما أكره، لأني لا أدري، الخير فيما أحب أو فيما أكره؟**»(٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو لغيرك شيئا -إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره- فلا تنازع اختياره، بل ارض باختيار ما اختاره لك، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه. ولا يرد عليه قدره من المعاصي، فإنه سبحانه -وإن قدرها- لكنه لم يخترها له، فمنازعتها غير اختياره من عبده. وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه»(٣).

الرّابعة: ألا يعدل العبد بالله تعالىٰ شيئا من خلقه

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن من تعظيم الله تعالىٰ ألا يسوي العبد به شيئا من خلقه، بحيث يجعل المخلوق في مرتبة الخالق، ثم ذكر مجموعة من الصور التي تجلي بعض مظاهر التسوية التي ينبغي أن يتجنها من سلك درج التعظيم لله جل جلاله، وقال: «فهذا كله من عدم وقار الله في القلب»(٤). ومن هذه الصور(٥):

الصورة الأولىٰ: ألا يعدل بالله شيئا من خلقه في اللفظ: كقولهم: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت.

وقد ورد النهي الصريح عن ذلك فيما رواه ابن عباس، أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الرضا عن الله بقضائه (ص: ٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الرضا عن الله بقضائه (ص: ٦٥-٦٦).

(٣) مدارج السالكين (ص: ٧٣٥).

(٤) الفوائد (ص: ١/ ٢٧٣).

(٥) ينظر: الفوائد (ص: ١/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٦) أخرجه أحمد (رقم: ١٨٣٩، ٣/ ٣٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد (باب قول الرجل ما شاء الله وشئت، رقم: ٧٣٨). وهو صحيح لغيره، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني (١/ ٢٦٦).

الصورة الثانية: ألا يعدل به شيئا من خلقه في الحب والتعظيم والإجلال أو في الطاعة: فيطيع المخلوق في أمره ونهيه كما يطيع الله أو أعظم كما عليه أكثر الظلمة والفجرة.

الصورة الثالثة: ألا يعدل به أحدا في الخوف والرجاء: فيجعله أهون الناظرين إليه، أو يستحي من اقتراف المنهيات أمام الناس ولا يستحيي ممن خلقهم.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن وقار الله أن يستحي من اطلاعه علىٰ سره وضميره فيرىٰ فيه ما يكره. ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر الناس»[(١)].

الصورة الرابعة: ألا يستهين بحقه، ويجعل حق المخلوق مقدما عليه: كمن يغتر بحلم الله تعالىٰ وكرمه فيقدم حق المخلوق علىٰ حقه، ويجعل حقه علىٰ الفضلة ويقول: هو مبني علىٰ المسامحة.

الصورة الخامسة: ألا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه.

الصورة السادسة: ألا يجعل مراد نفسه مقدما علىٰ مراد ربه.

فهذه مجموعة من الصور التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، والتي يجب علىٰ السالك منزلة التعظيم أن يتجنبها، فإنها تنافي تعظيم المولىٰ جل جلاله.

الموطن الرابع: تعظيم الرسول ﷺ

لقد اختار الله النبي الكريم واصطفاه من بين العالمين خليلا، وبوأه أعلىٰ المنازل في الدنيا والآخرة، وخصه بخصائص لم تعط نبيا قبله، حيث قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(٢)].

وقد زاده الله شرفا وتعظيما حيث أقسم جل جلاله بروحه الطاهرة فقال تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحِجر].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أقسم تعالىٰ بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض»[(٣)].

---

(١) الفوائد (ص: ١/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ علىٰ جميع الخلائق، رقم: ٢٢٧٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٦٩).

ولما كان النبي ﷺ بهذه المنزلة، فقد أرشد الله تعالىٰ عباده إلىٰ تعظيمه، وجعل تعظيمه من تعظيمه، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم»[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مرسله، بل إنما يثبت ذلك له تبعا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله، ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله ...، ومحبته محبة لله ...، وتعظيمه تعظيم لله، ونصرته نصرة لله، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلىٰ طاعته ومحبته وإجلاله، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له»[(٢)].

الموطن الخامس: القوة في أمر الله تعالى

تعتبر القوة في أمر الله من الصفات التي سعت الشريعة الإسلامية إلىٰ غرسها في نفوس أتباعها، وتربيتهم عليها؛ حتىٰ يكونوا قادرين علىٰ تحمل أعباء الأمانة والدفاع عنها، لتقوم في الأرض عبوديته وتطبق شريعته، وفي ذلك غاية التعظيم لله تعالىٰ وأوامره ونواهيه وحدوده.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: وكذلك القوة في أمر الله هي من تعظيمه وتعظيم أوامره وحقوقه حتىٰ يقيمها الله»[(٣)].

ويشهد لذلك كثير من الآيات القرآنية والآثار النبوية، منها: أن الله تعالىٰ أمر بها يحيىٰ عليه السلام فقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، وأثنىٰ الله علىٰ صحابة رسول الله ﷺ بها فقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩٢). وينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٨/ ٢٩٣).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٤٩٠).

(٣) الروح (ص: ٣١٤).

ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح]

وحثّ رسول الله ﷺ أمته عليها فقال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»(١).

خلاصـــة: إن هذه المواطن تجلي لنا معالم طريق التعظيم، التي من شـــأنها أن تعين الســـالك في ســـيره، وتصـــونه من الانحراف عن الطريق المســـتقيم أثناء عروجه درج هذه المنزلة. **وهناك مواطن أخرىٰ أشار إليها ابن القيم أيضا لا يتسع المقام لذكرها.**

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم: ٢٦٦٤).

المبحث الثالث: ثمرات التعظيم

إن الكلام عن الثمرات التي يُنتظر أن يحصلها المعظم لله تعالىٰ، من شأنه أن يزيد الموضوع أهمية، ويوقظ القلوب ويحركها، ويدفعها إلىٰ الرقي في مدارج العبودية والتعظيم لله تعالىٰ، خصوصا وأنها آثار ومقاصد حميدة، وفي وقت شدة الحاجة إليها، ولا غنىٰ للعبد عنها إن أراد الفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

وبالرجوع إلىٰ ما نثره ابن القيم في كثير من كتبه، نجده قد أشار إلىٰ جملة كبيرة من هذه الآثار التي من شأنها أن تعود علىٰ نفسه العبد بتزكيتها، وجوارحه بحفظها من الذنوب، وقلبه بصونه مما يفسده. وسنذكر -بعون الله تعالىٰ- هنا جملة منها بحسب ما يقتضيه المقام، تاركين البقية لما يأتي من الأيام.

أولا: صرف الذنوب

إن من شأن امتلاء القلب بالتعظيم والإجلال لله تعالىٰ أن يحول بين العبد واقتحام المنهيات، والتفريط في المأمورات، بل إن كثيرا من منازل العبودية لا ينعكس أثرها علىٰ قلب العبد وجوارحه إلا إذا قارنها التعظيم والإجلال لله تعالىٰ؛ مما يجلىٰ أهمية هذه العبادة وأثرها في تزكية النفس وتطهيرها من الفواحش والمنكرات، وحملها علىٰ الالتزام بالمأمورات.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد، ولا بد، شاء أم أبىٰ. ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والورع عن المعصية: إما تخوف، أو تعظيم. واكتفىٰ بذكر التعظيم عن ذكر الحب الباعث علىٰ ترك معصية المحبوب؛ لأنه لا يكون إلا مع تعظيمه، وإلَّا فلو خلا القلب من تعظيمه لم تستلزم محبته ترك مخالفته، كمحبة الإنسان ولده وعبده وأمته. فإذا قارنه التعظيم أوجب ترك المخالفة»[2].

---

(١) الجواب الكافي (ص: ١٧٠).

(٢) مدارج السالكين (ص: ٣٩٠).

ويقول بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ : «لو تفكَّر الناس في عظمة الله؛ لما عصوا الله»[١].

ثانيا: تعظيم الناس وتوقيرهم للمعظم لله تعالى

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلىٰ قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلىٰ قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلىٰ قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته»[٢].

ويشهد لهذا ما رواه أبو هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»**، وإذا أبغض عبدًا فمثل ذلك[٣].

وبيَّن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر أن عدم تعظيم العبد لله تعالىٰ يحرمه هذه النعمة الجليلة ويسقطها من قلوب العباد، حيث قال: «ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته في قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره؛ فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم ... والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه»[٤].

ثالثا: تعظيم الجناية في قلب العبد

لا شك أن الإنسان تتناوبه حالات عديدة من الضعف والقوة، والطاعة والمعصية، حيث لا يستقر به الأمر علىٰ حال، نظرا لما يعترضه من حوادث لانشغاله بأمور دنياه، وما يستتبع ذلك من أفراح وأحزان تغير المزاج، وتعكر صفو القلب وتضعف مناعته؛ فيقع العبد في المحظور.

ولما كان هذا حال كل إنسان، فإن أهل التعظيم منهم لهم شأن خاص، وحالة تميزهم عن غيرهم ممن حُرموا هذه المنزلة. فرغم ما قد يعتريهم من الوقوع فيما ينافي التعظيم، فإن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٧).

(٢) الجواب الكافي (ص: ١٧١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، رقم: ٢٦٣٧).

(٤) الفوائد (١/ ٢٧٤).

أثر التعظيم الموجود في قلوبهم تنعكس آثاره عليهم، فتجد قلوبهم في غاية الحزن والكآبة علىٰ ما وقع منهم من تفريط، وترىٰ نفوسهم منكسرة، وقلوبهم من هول الجناية واقتحام المنهي خائفة ووجلة من الله تعالىٰ؛ فيحملهم ذلك علىٰ سرعة التوبة والأوبة والرجوع إلىٰ حضيرة الورع والخشية، والتضرع والابتهال إلىٰ الله متعوذين برضا الله من سخطه وبعفوه من عقوبته، لأنهم عرفوا عظمة الله تعالىٰ وقوته وبطشه، وسعة رحمته وعفوه، وكمال باقي أسمائه وصفاته. فهم بين خوف من هول المصاب، وحياء من كرم الله الرحيم الرحمن.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما تعظيم الجناية، فإنه إذا استهان بها لم يندم عليها، وعلىٰ قدر تعظيمها يكون ندمه علىٰ ارتكابها ... وتعظيم الجناية يصدر عن ثلاثة أشياء: تعظيم الأمر، وتعظيم الآمر، والتصديق بالجزاء»[(١)].

ويشهد لهذا ما روي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب مر علىٰ أنفه**»[(٢)].

رابعًا: الحيلولة بين العبد والانقياد لغير الله تعالى

إن لكل منزلة من منازل السائرين إلىٰ الله تعالىٰ فوائد وثمرات إيمانية ونفسية واجتماعية مرتبطة بها، غير أن كثيرا من المنازل يتوقف حصول ثمرتها علىٰ وجود منازل أخرىٰ مقترنة بها. ومن أمثلة ذلك المحبة مع التعظيم، حيث لا يترتب أثرهما بمنع السالك من الانقياد لغير المحبوب أو المعظم إلا إذا اقترنا ببعضهما، وأما إذا تجردت المحبة عن التعظيم تخلف أثرها وتعطل مقصدها.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس مجرد التعظيم هو المانع له من الانقياد إلىٰ غيره، بل التعظيم المقارن للحب هو الذىٰ يمنع من الانقياد إلىٰ غير المحبوب. فإن التعظيم إذا كان مجرد عن الحب لم يمنع انقياد القلب إلىٰ غير المعظم. وكذلك إذا كان الحب خاليًا عن التعظيم لم يمنع المحب أن ينقاد إلىٰ غير محبوبه. فإذا اقترن الحب بالتعظيم، وامتلأ القلب بهما، امتنع انقياده إلىٰ غير المحبوب»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (ص: ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم: ٦٣٠٨).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٦٤١).

ويؤيده قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال]، ، حيث قال: «**يحول بين المؤمن ومعصيته**»(١).

خامساً: تهذيب النفس، وحملها على التواضع لله، والانكسار بين يديه.

لقد جبلت النفس علىٰ كثير الصفات السيئة الذميمة التي من شأنها أن تضعف سير العبد إلىٰ الله تعالىٰ، وتحول بينه وبين مبتغاه، كالكبر والعجب وطول الأماني ...، وغير ذلك من الصفات التي تضعف وتطفئ نور القلب، وتقيد اندفاعه وقوته أثناء عروجه في منازل السالكين إلىٰ الله تعالىٰ؛ فيتخلف نتيجة لذلك أثر منازل إياك ونعبد وإياك نستعين.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: ٥٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ريب أن الحب والأنس المجرد عن التعظيم والإجلال يبسط النفس، ويحملها علىٰ بعض الدعاوىٰ والرعونات والأماني الباطلة، وإساءَة الأدب والجناية علىٰ حق المحبة»(٢).

ولما كانت النفس بهذه الصفات الذميمة والخطيرة، كان التعظيم في المقابل من أهم المنازل التي من شأنها أن تهذب النفس وتوقف طغيانها وجبروتها، وتحملها علىٰ الذل والانكسار للملك الجبار، والتواضع لعباده الأبرار، وتكسب القلب قوة ومناعة أثناء سيره في منازل السائرين إلىٰ الله تعالىٰ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا قارن المحبة مهابة المحبوب، وإجلاله وتعظيمه، وشهود عز جلاله وعظيم سلطانه؛ انكسرت نفسه له، وذلت لعظمته، واستكانت لعزته، وتصاغرت لجلاله، وصفت من رعونات النفس وحماقاتها، ودعاويها الباطلة، وأمانيها الكاذبة»(٣).

ويقول في موطن آخر عند كلامه عن التواضع المحمود: «والنوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالىٰ وتفرده

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٩).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٦٣٦).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٦٣٦).

بذلك وغضبه الشديد علىٰ من نازعه ذلك؛ فتواضعت إليه نفسه، وانكسر لعظمة الله قلبه، واطمأن لهيبته وأخبت لسلطانه. فهذا غاية التواضع»[١].

سادسا: رعاية قلب المعظم وحفظ جوارحه

لما كان العبد مطالبا برعاية قلبه وحفظه نظرا لشدة تقلبه، وكثرة الصوارف والعوارض التي تعرض له في يومه وليله، مما يجعل استقرار العبد علىٰ حالة واحدة من القوة الإيمانية والقلبية التي من شأنها أن تمنع مفسدات القلوب من التسرب إليه، من الأمور الصعبة جدا، وتحتاج إلىٰ مراقبة وعناية كبيرة، ويقظة دائمة؛ فإن الله تعالىٰ بجوده وكرمه قد من علىٰ من يعظمه ويجله ويحبه أن يحفظ عليه قلبه من كل دخيل يفسده أو يقطع طريق سيره، أو يعكر صفو حاله مع مولاه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعىٰ قلبه وجوارحه، وعلامة صدق المحبة شهود هذا الرقيب ودوامه.

وههنا لطيفة يجب التنبه لها، وهي أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياء والطاعة، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوع أنس وانبساط وتذكر واشتياق. ولهذا يتخلف عنها أثرها وموجبها، ويفتش العبد قلبه فيرىٰ فيه نوع محبة لله، ولكن لا تحمله علىٰ ترك معاصيه، وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم. فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢].

---

(١) الروح (ص: ٣١٤).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٥٩٠).

المبحث الرابع: مظاهر تجلي عظمة الخالق تبارك وتعالى

لا شك أن النظر في مواطن التعظيم، والتأمل في آثارها، يحرك القلب ويوقظه، ويستولي علىٰ الفكر، ويدفعه إلىٰ التساؤل عن الطريق إلىٰ معرفة عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ؛ لعله يهتدي بهديها، ويستضيء بنورها.

وفي هذا السياق نجد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يحدد الطريق إلىٰ ذلك فيقول في بداية كلامه عن منزلة التعظيم: «وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب. وأعرف الناس به أشدهم له تعظيما وإجلالا، وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته»[(١)].

ويقول في موطن آخر: «ومن علامات المعرفة الهيبة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨]، أي العلماء به. وقال النبيُّ ﷺ: «أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»[(٢)]. ومن عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه، والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره».[(٣)]

ويقول ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفضل العلم العلم بالله، وهو العلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته، والتبتل إليه والتوكل عليه، والرضا عنه، والاشتغال به دون خلقه»[(٤)].

إن سبب كون معرفة الله تعالىٰ هي الطريق الوحيد لمعرفة عظمة الخالق، راجع إلىٰ كون العظمة صفة من صفات الله أولا، ثم إن هذه الصفة تجلت في كل أفعال الله تعالىٰ ومفعولاته؛

---

(١) مدارج السالكين (ص: ٧٣٠).

(٢) أخرجه البخاري بلفظ: «فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية» (كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم: ٦١٠١).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٤٠٦).

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء (١/ ٤١).

فكانت المعرفة بالله هي البوابة الأولىٰ التي من خلالها تتجلىٰ عظمة الرب جل جلاله. وهذه المعرفة تتكون من ثلاث درجات: معرفة الذات، ومعرفة الصفات، ومعرفة الأفعال.

وبهذا الترتيب ذكرها الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، فبدأ بأنفسها وأعزها، حيث قال: «شرح معرفة الله تعالىٰ، وذلك هو الكبريت الأحمر. وتشتمل هذه المعرفة علىٰ:

١- معرفة ذات الحق تبارك وتعالىٰ.

٢- ومعرفة الصفات.

٣- ومعرفة الأفعال»[١].

غير أنني في هذا المقام سأبدأ بذكر الأفعال، ثم الصفات، ثم الذات، باعتبار أن معرفة الأفعال تؤدي إلىٰ التعرف علىٰ الصفات، وأن معرفة الصفات تقود علىٰ معرفة الذات. وهذا المنهج هو الذي سلكه الهروي وتبعه عليه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

الدرجة الأولى: معرفة أفعال الله تعالى

إن الناظر في هذا الكون المتسعة أطرافه، المتعددة مجالاته، والمتأمل في آيات الله المتلوة علىٰ تنوعها وتعدد أقسامها ومجالاتها، لا يرىٰ إلا أفعال الله تعالىٰ الدالة علىٰ كمال صفاته ومطلق قدرته، التي توجب تعظيمه وإجلاله والخضوع لسلطانه.

يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الأفعال: فبحر متسعة أكنافه، ولا تنال بالاستقصاء أطرافه، بل ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، وكل ما سواه فعله»[٢].

وأفعال الله تعالىٰ علىٰ نوعين: منها ما يقع تحت إدراك الإنسان، ومنها ما غاب عن إدراكه وحواسه.

أولا: الأفعال الواقعة تحت إدراك حواس الإنسان

إن المتأمل في عظم خلق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما من المخلوقات الهائلة، العجيبة الصنع والإبداع؛ سيقف «أمامها مبهورا مدهوشا متحيرا في الصنعة المتقنة

---

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٥).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٢٦).

الجميلة المنسقة الدقيقة التنظيم.. هي هذا الخلق الذي يجمع إلىٰ العظمة الباهرة، الجمال الأخاذ. الجمال الحقيقي الكامل، الذي لا يرىٰ فيه البصر، ولا الحس، ولا القلب، موضعا للنقص ولا يمل المتأمل التطلع إليه مهما طالت وقفته ولا يذهب التكرار والألفة بجاذبيته المتجددة العجيبة. ثم هي هذه الخلائق المنوعة، المتعددة الأنواع والأجناس والأحجام والأشكال والخواص والمظاهر والاستعدادات والوظائف، الخاضعة كلها لناموس واحد، المتناسقة كلها في نشاط واحد، المتجهة كلها إلىٰ مصدر واحد تتلقىٰ منه التوجيه والتدبير، وتتجه إليه بالطاعة والاستسلام. والله .. هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما .. فهو الحقيق- سبحانه- بهذا الوصف العظيم»

فإذا طال تأمل العبد في عظم هذه المصنوعات بعين البصيرة، عبر نظره «من الأثر إلىٰ المؤثر، ومن الصنعة إلىٰ الصانع، ومن الدليل إلىٰ المدلول، فينتقل إليه بسرعة لطف إدراك، فينتقل ذهنه من الملزوم إلىٰ لازمه»[1]؛ فتتجلىٰ له عظمة الصانع، ومطلق قدرته، ونفاذ أمره ...؛ فإذا شاهد ذلك عظُم الله في قلبه وازدادت خشيته له وإجلاله إياه، ومحبته، والخوف المنه، والتعلق به.

ولما كان النظر والتأمل في أفعال الله بهذه المنزلة العظيمة في الدلالة علىٰ رب العباد؛ فقد حض الله تبارك وتعالىٰ عليه في أكثر من موطن في كتابه. منها قول الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]، ، ويقول تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة: ٢٧]:، والآيات في هذا الباب كثيرة جدا يضيق المقام بذكرها.

ثانيا: الأشياء التي لا تبلغها حواس الإنسان

وهذا هو عالم الغيب، وهو أدل علىٰ عظمة الخالق وجلاله من عالم الشهادة، ولا سبيل إليه إلا من خلال ما جاء في كتاب الله تعالىٰ أو سنة نبيه ﷺ.

يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشرف أفعاله وأعجبها وأدلها علىٰ جلالة صانعها ما لم يظهر للحس، بل هو من عالم الملكوت»[2].

---

(١) مدارج السالكين (ص: ١٠٠٩).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٢٦-٢٧).

والناظر في هذا العالم، يرىٰ فيه الملائكة علىٰ كثرة عددها وتنوع وظائفها (فمنها الكتبة، والحفظة، والمكلفة بتدبير أوامر الله الكونية، وتنزيل آياته الشرعية)، والكرسي والعرش، وما الكرسي بالنسبة إلىٰ العرش إلا كخاتم ألقي في بأرض فلاة. الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، والله جل جلاله مستو علىٰ عرشه استواء يليق بجلاله وكمال أوصافه، يدبر أمر ملكوته، «يغفر ذنبا، ويفرج هما، ويكشف كربا، ويجبر كسيرا، ويغني فقيرا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيا، ويشبع جائعا، ويكسو عاريا، ويشفي مريضا، ويعافي مبتل، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنا، وينصر مظلوما ويقصم جبارا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقواما ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل». فإذا شاهد القلب ذلك ازداد شوقه إلىٰ معرفة المزيد، فيتأمل ويتدبر فإذا به يرىٰ «قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره.

الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يقبض سماواته كلها بيده الكريمة والأرض باليد الأخرىٰ، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يسألها أن يعطيها»، ثم يشاهد القلبُ الجنة وما خلق الله فيها مما لم تدركه الأبصار ولن تستطيع تصوره العقول، ثم يتحول بصره إلىٰ جهنم فيرىٰ فيها تجلي عظمة الخالق وبطشه وقوته وكبرياءه وقدرته.

فإذا شاهد القلب هذه المشاهد، عظُم الله في قلبه، وانكسرت نفسه لكبرياء الله تعالىٰ وجلاله، وتحرك يتلو بلسان حاله قوله تعالىٰ: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]، فتراه خائفا وجلا معظما لله تعالىٰ.

الدرجة الثانية: معرفة الأسماء والصفات

إنّ التأمل والتدبر في أسماء الله تعالىٰ وصفاته من أعظم طرق معرفة الله تعالىٰ التي من شأنها أن تزيد تعظيم الله تعالىٰ في قلب العبد، وإجلاله وهيبته، والخضوع والذل له، والانكسار بين يديه، فهي كلها متصفة بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال. وقد أمر الله تعالىٰ عباده وأرشدهم إلىٰ التأمل في أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ

﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠]، فإذا ولج العبد هذا الباب بصدق شاهد عظمة الخالق وكبريائه، وجماله وجلاله، فيزداد شوقه وتعظم رغبته في معرفة مولاه بالمزيد.

ولما كانت الصفات بهذه المنزلة العظيمة في الدلالة علىٰ الله تعالىٰ، فقد نصب الله تعالىٰ شواهد عليها تدل وترشد إليها، وهي تدور بين آيات الله المتلوة، وآياته المشاهدة.

فأما النظر في المخلوقات فهو من أعظم الطرق الموصلة إلىٰ معرفة أسماء الله وصفاته، وتصور بعض حقائقها وتجلياتها، كما أنها من أسهل الطرق وأخصرها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما المفعولات فإنها دالة علىٰ الأفعال، والأفعال دالة علىٰ الصفات؛ فإن المفعول يدل علىٰ فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه؛ لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة»(١).

ويقول في موطن آخر بعد ذكر مجموعة من الشواهد علىٰ أسمائه وصفاته: «وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات، وجدتها بأسرها كلها دالة علىٰ النعوت والصفات، وحقائق الأسماء الحسنىٰ، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمىٰ بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة، كما قال تعالىٰ: " **يزيمين يى يي** "الذاريات: ٢١. فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلىٰ الأسماء الحسنىٰ وحقائقها، وتنادي عليها، وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنّها ... من الملك الأعلىٰ إليك رسائل

وقد خُطَّ فيها لو تأمَّلتَ خَطَّها ... ألَا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل

تُشير بإثبات الصِّفات لربِها ... فصامِتُها يهدي ومَن هو قائل

فلستَ ترىٰ شيئًا أدلَّ علىٰ شيء من دلالة المخلوقات علىٰ صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلا وحسا، وفطرة ونظرا، واعتبارا»(٢).

---

(١) الفوائد (ص: ١/ ٢٨).

(٢) مدارج السالكين (ص: ١٠٠٨).

وأمّا آياته الله المتلوة، فقد تجلىٰ الله تعالىٰ فيها لعباده بصفات كثيرة، دالة علىٰ تجلي عظمة الخالق جل جلاله، وقوته، وقدرته، وإحاطته بكل شيء، ونفاذ أمره في مخلوقاته، وقيوميته، وسعة علمه، وشمول تدبيره، وشدة انتقامه، وبطشه وكبريائهؤ...، وغير ذلك من الأسماء والصفات الدالة علىٰ ذلك. بل إن القرآن هو المصدر الأول في الدلالة علىٰ أسمائه وصفاته، وهو الذي أرشد العبيد إلىٰ التأمل في مخلوقات الله والاستدلال بها علىٰ صفاته، ودلهم علىٰ المنهج القويم في التعامل مع أسماءه.

بقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبرزا دور القرآن الكريم في تبيان أسماء الله تعالىٰ وصفاته: «القرآن كلام الله، وقد تجلىٰ الله فيه لعباده صفاته: فتارة يتجلىٰ في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء. وتارة يتجلىٰ في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال علىٰ كمال الذات ... وإذا تجلىٰ بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص علىٰ المحرمات، وانقبضت أعنة رعوناتها، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر ... وإذا تجلىٰ بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحدته»[1].

الدرجة الثالثة: معرفة ذات الله جل جلاله

تعتبر هذه الدرجة من أعز الدرجات وجودا، وأعظمها وأشرفها وأجلها؛ «لأن التي قبلها نظر في الصفات، وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات»، وأما الأفعال فهي شواهد علىٰ صفاته وذاته، تجلىٰ من خلالها لعباده.

يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكذلك معرفة الذات، أضيقها مجالا، وأعسرها منالا، وأعصاها علىٰ الفكر، وأبعدها عن قبول الذكر؛ ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا علىٰ تلويحات وإشارات، ويرجع ذكرها إلىٰ ذكر التقديس المطلق كقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾

(١) الفوائد (ص: ١/ ٩٨-١٠٠).

[الشورى: ١١]، وسورة الإخلاص، وإلىٰ التعظيم المطلق كقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠١]»[(١)].

وتعتبر الصفات والأفعال أدل الشواهد علىٰ ذات الله تبارك وتعالىٰ، فمن تأمل أفعال الله تعالىٰ وصفاته، وأطال التدبر فيها وفي تجلياتها وشواهدها وتناسقها وكمالها، ونفىٰ التعارض بينها ولم يعطلها؛ شهد بقلبه «الرب تبارك وتعالىٰ مستويا علىٰ عرشه، متكلما بأمره ونهيه، بصيرا بحركات العالم علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعا لأصواتهم، رقيبا علىٰ ضمائرهم وأسرارهم ،وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال، منزها عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفىٰ عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، بصير يرىٰ دبيب بالنملة السوداء، علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، علىٰ تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقا وعدلا، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبها ومثلا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئا من الذوات أصلا، ووسعت الخليقة أفعاله عدلا وحكمة ورحمة وإحسانا وفضلا»[(٢)].

---

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٦).

(٢) مدارج السالكين (ص: ٩٥).

الخاتمة

وفي الختام، وبعد أن يسر الله تعالىٰ إتمام ما قصدت بلوغه، أسطر هذه الفوائد والنتائج التي أشارت إليها هذه المباحث المتواضعة فأقول:

١- تعتبر عبادة التعظيم من أجل العبادات القلبية، وأعلاها منزلة، وأعظمها أثرا.

٢- تعتبر عبادة التعظيم هي الأساس الذي تقوم عليه الغاية من خلق الخلق، وهو الإيمان بالله، وتحقيق عبوديته، فالتعظيم هو روحها وجوهرها. لذلك وجب علىٰ المؤمن تحقيقها والقيام بحقها، وتربية النفس عليها.

٣- يعتبر تعظيم الله تعالىٰ من أهم العبادات التي من شأنها أن تزكي النفس وتهذبها، وتوقف طغيانها، وتحملها علىٰ امتثال أومر الله ونواهيه، والتدرج في منازل عبوديته.

٤- تعتبر منزلة التعظيم أصل كل صلاح دنيوي، وفلاح أخروي. فتعظيم العبد لله تعالىٰ، يقوده إلىٰ تعظيم دينه، وتعظيم رسله وكتبه، وتعظيم عباده المؤمنين. وهذا هو أساس ومنطلق الصلاح الفردي والجماعي، والإقلاع الحضاري.

٥- يجلي هذا البحث ضوابط التعظيم وحدوده، مما يحول دون الوقوع في خطأ الإفراط أو التفريط في تنزيل الهدايات علىٰ واقع الناس.

٦- يؤخذ من هذا البحث أهمية تعظيم أوامر الله تعالىٰ ونواهيه، وأنهما أول مراتب التعظيم، وأعلاها، وأن تعظيم أمره يكون باتباعه، وتعظيم نهيه يكون باجتنابه، دون غلو أو تفريط، أو تعليل ينافي مقاصدهما.

٧- معرفة الله تعالىٰ بذاته، وأسماءه وصفاته، وأفعاله، هو الباب الأول الذي يجب علىٰ سالك منزلة التعظيم أن يلجه إن أراد بلوغ الغاية من هذه المنزلة، وتحقيق مقاصدها.

٨- يؤخذ من هذا البحث أن عظمة الله، عظمة ذاتية مطلقة، بخلاف ما دونه من مخلوقاته، فقد تطلق عليهم هذه الصفة، ولكن بطريق الإضافة. وأن من نازع الله تعالىٰ في عظمته المطلقة فجزاؤه جهنم.

٩- يؤخذ من هذا البحث أن منزلة التعظيم درجات، كلما ترقىٰ العبد في مسالك العبودية لله تعالىٰ، وازدادت معرفته بالله، كلما عظُم الله تعالىٰ في قلبه وازداد كماله فيها.

١٠- يؤخذ منه أيضا أن المعاصي لها أثر كبير في ذهاب التعظيم، وإطفاء نوره في قلب العبد.

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيه الكريم، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (المتوفىٰ: ٢٥٦ه)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢- الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣- الإيمان، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن منده (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤- تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَروزي (المتوفىٰ: ٢٩٤ه)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

٥- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (المتوفىٰ: ٤٨٩ه)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفىٰ السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٨- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفىٰ: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفىٰ: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١١- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٢- جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١ه)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٣- الجواب الكافي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وزائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.
١٤- جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفىٰ: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (المتوفىٰ: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
١٦- الداء والدواء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وزائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.
١٧- الرضا عن الله بقضائه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا (المتوفىٰ: ٢٨١هـ)، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.
١٨- الروح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد إسكندر يلدا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفىٰ: ١٢٧٠هـ)، حقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٢٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، دار النبلاء، بيروت.

٢١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني (المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٢- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفىٰ : ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره وعبد اللطيف حرز الله، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤- الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١ه)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٢٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وزائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.

٢٦- الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة.

٢٧- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم منظور (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٢٨- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفىٰ: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٩- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وتحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣١- مشكاة المصابيح، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
٣٢- المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٣٣- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٤- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

محتويات البحث

مقدمة ١
المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ..... ٥
أولا: مفهوم التعظيم في اللغة..... ٥
ثانيا: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ في الاصطلاح ٥
المبحث الثاني: مواطن تعظيم الله تعالىٰ..... ٧
الموطن الأول: تعظيم الأمر والنهي..... ٧
المحور الأول: مراتب تعظيم الأمر ٨
المحور الثاني: علامات تعظيم الأوامر والنواهي ٩
المحور الثالث: ما ينافي تعظيم الأمر والنهي ١٣
أولا: معارضة الأمر والنهي بغلو أو تفريط ١٣
ثانيا: حمل الأمر والنهي علىٰ علة توهن الانقياد..... ١٥
الموطن الثاني: تعظيم الحكم ١٥
أولا: أن يراه حسنا محكما متقنا لا عوج فيه..... ١٦
ثانيا: ألا يعارِض حكم الله الكوني بحكمه الديني أو يدفعه به ١٦
ثالثا: ألا يرضىٰ بعوض يطلبه بعمله..... ١٧
الموطن الثالث: تعظيم الحق سبحانه وتعالىٰ ١٧
الموطن الرابع: تعظيم الرسول ﷺ..... ٢٠
الموطن الخامس: القوة في أمر الله تعالىٰ..... ٢١
المبحث الثالث: ثمرات التعظيم ٢٣
أولا: صرف الذنوب..... ٢٣

ثانيا: تعظيم الناس وتوقيرهم للمعظم لله تعالىٰ..... ٢٤
ثالثا: تعظيم الجناية في قلب العبد ٢٤
رابعا: الحيلولة بين العبد والانقياد لغير الله تعالىٰ..... ٢٥
خامسا: تهذيب النفس، وحملها علىٰ التواضع لله، والانكسار بين يديه..... ٢٦
سادسا: رعاية قلب المعظم وحفظ جوارحه ٢٧
المبحث الرابع: مظاهر تجلي عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ..... ٢٨
الدرجة الأولىٰ: معرفة أفعال الله تعالىٰ..... ٢٩
أولا: الأفعال الواقعة تحت إدراك حواس الإنسان ٢٩
ثانيا: الأفعال التي لا تبلغها حواس الإنسان ٣٠
الدرجة الثانية: معرفة الأسماء والصفات..... ٣١
الدرجة الثالثة: معرفة ذات الله جل جلاله ٣٣
الخاتِمة..... ٣٥
المصادر والمراجع..... ٣٧
محتويات البحث..... ٤١